الصباح الإسلامية
09
العدد 3680 - السنة الثالثة عشرة
الجمعة 6 شوال 1441 - الموافق 29 مايو 2020
Friday 29 May 2020 - No.3680 - 13 th Year

«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»

من فوائد الإبتلاء .. تكفير الذنوب ومحوالسيئات

إن من السنن الكونية وقوع البلاء على المخلوقين اختبارًا لهم، وتمحيصًا لذنوبهم، وتمييزًا بين الصادق والكاذب منهم قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [ص:٣٤] وقال تعالى: ﴿الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١-٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (رواه الترمذي) وقال حديث حسن.

وأكمل الناس إيمانًا أشدهم إبتلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد به بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (أخرجه الإمام أحمد وغيره).

فوائد الإبتلاء:

- تكفير الذنوب ومحوالسيئات.
- رفع الدرجة والمنزلة في الآخرة.
- الشعور بالتفريط في حق الله وانهام النفس ولومها.
- فتح باب التوبة والذل والانكسار بين يدي الله.
- تقوية صلة العبد بربه.
- تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بالأمم.
- قوة الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بانه لاينفع ولا يضر الا الله، تذكر المآل وإبصار الدنيا على حقيقتها.

والناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام:

الأول: محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله واتهام القدر.

الثاني: موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله.

الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر وهو آمر زائد على الصبر.

والمؤمن كل أمره خير فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله قال الرسول صلى الله عليه وسلم « « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم) . واقتضت حكمة الله اختصاص المؤمن غالبًا بنزول البلاء تعجيلا لعقوبته في الدنيا أو رفعًا لمنزلته أما الكافر والمنافق فيعافى ويصرف عنه البلاء.

وتؤخر عقوبته في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد» (رواه مسلم).

والبلاء له صور كثيرة: بلاء في الأهل وفي المال وفي الولد، وفي الدين، وأعظمها ما يبتلى به العبد في دينه. وقد جمع للنبي كثير من أنواع البلاء فابتلي في أهله، وماله، وولده، ودينه فصبر واحتسب وأحسن الظن بربه ورضي بحكمه وامتثل الشرع ولم يتجاوز حدوده فصار بحق قدوة يحتذي به لكل مبتلى . والواجب على العبد حين وقوع البلاء عدة أمور:

(1) أن يتيقن ان هذا من عند الله فيسلم لأمره.

(2) أن يلتزم الشرع ولا يخالف أمر الله فلا يتسخط ولا يسب الدهر.

(3) أن يتعاطى الأسباب النافعة لدفع البلاء.

(4) أن يستغفر الله ويتوب إليه مما أحدث من الذنوب.

ومما يؤسف له أن بعض المسلمين ممن ضعف إيمانه إذا نزل به البلاء تسخط و سب الدهر، ولام خالقه في أفعاله وغابت عنه حكمة الله في قدره واغتر بحسن فعله فوقع في بلاء شر مما نزل به وارتكب جرماً عظيماً.

وهناك معاني ولطائف اذا تامل فيها العبد هان عليه البلاء وصبر وآثر العاقبة الحسنة وأبصر الوعد والثواب الجزيل:

أولا: أن يعلم أن هذا البلاء مكتوب عليه لامحيد عن وقوعه واللائق به أن يتكيف مع هذا الظرف ويتعامل بما يتناسب معه.

ثانيًا: أن يعلم ان كثيرًا من الخلق مبتلى بنوع من البلاء كل بحسبه و لايكاد يسلم احد فالمصيبة عامة، ومن نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

ثالثا: أن يذكر مصاب الأمة الإسلامية العظيم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انقطع به الوحي وعمت به الفتنه وتفرق بها الأصحاب « كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله».

رابعًا: أن يعلم ما أعد الله لمن صبر في البلاء أول وهلة من الثواب العظيم قال رسول الله «إنما الصبر عند المصيبة الأولى».

خامسًا: انه ربما ابتلاه الله بهذه المصيبة دفعًا لشر وبلاء أعظم مما ابتلاه به، فاختار الله له المصيبة الصغرى وهذا معنى لطيف.

سادسًا: انه فتح له باب عظيم من أبواب العبادة من الصبر والرجاء، وانتظار الفرج فكل ذلك عبادة .

سابعًا: أنه ربما يكون مقصر وليس له كبير عمل فأراد الله أن يرفع منزلته و يكون هذا العمل من أرجى أعماله في دخول الجنة.

ثامنا: قد يكون غافلاً معرضًا عن ذكر الله مفرطا في جنب الله مغترًا بزخرف الدنيا، فأراد الله قصره عن ذلك وإيقاظه من غفلته ورجوعه الى الرشد.

فإذا استشعر العبد هذه المعاني واللطائف انقلب البلاء في حقه الى نعمة، وفتح له باب المناجاة ولذة العبادة، وقوة الاتصال بربه والرجاء وحسن الظن بالله وغير ذلك من أعمال القلوب، ومقامات العبادة ما تعجز العبارة عن وصفة .

قال وهب بن منبه: لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب الرخاء ينتظر البلاء و قال رسول الله « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقارض» (رواه الترمذي).

ومن الأمور التي تخفف البلاء على المبتلى وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط على القلب :

(1) الدعاء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة».

(2) الصلاة: «فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة» (رواه أحمد) .

3) الصدقة وفي الأثر «داووا مرضاكم بالصدقة».

(4) تلاوة القرآن: « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين».

(5) الدعاء المأثور: «وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون» وما استرجع أحد في مصيبة إلا أخلفه الله خيرًا منها.

مواقف من حياة الصحابة

كان للصحابة الكرام مواقف كثيرة في حياتهم ومعاملاتهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن هذه المواقف ما يأتي:

جاء عن أبي مسعود البدري، في قصة أو موقف من مواقف من حياة الصحابة يبرهن على سرعة استجابة الصحابة الكرام لأوامر رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، قال أبو مسعود البدري: «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي «اعلم، أبا مسعود!»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني، إذ هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو يقول: اعلم، أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم، أبا مسعود! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، قال فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا» [٤]، وفي موقف آخر، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ سيفًا يوم أحد، فقال: من يأخذ مني هذا؟، فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: فمن يأخذه بحقه؟، قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين».

وروى أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ، وقلت : يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزلت آية الحجاب وبلغني شيء من معاملة أمهات المؤمنين، فقلت: لتكفن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو ليبدلنه الله أزواجًا خيرًا منكن حتى انتهيت إلى إحدى أمهات المؤمنين، فقالت: يا عمر! أما في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فكففت، فأنزل الله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾.

وفيما جاء من مواقف من حياة الصحابة -رضي الله عنهم- روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- قال: «جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وأحب إليّ من أهلي، وأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى نزلت عليه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

الأمانة .. مفتاح من مفاتيح أبواب جنات النعيم

مكارم الأخلاق مكارم الأخلاق هي ما يسمو به المرء في طبعه ونفسه عن السوء، وقد حث الدين الإسلامي الناس على التزين بهذه المكارم والخصال العظيمة، فالإنسان المؤمن يرتبط إيمانه ارتباطا وثيقا بحسن الخلق، ولقد رُوي عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في نهيه عن سوء الخلق وتأكيده الفضل العظيم لمن حسن خلقه فقال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»، ولقد كان النبيّ -صلى الله عليه وسلم- مثالا عظيمًا يحتذى به في كمال أخلاقه، ولقد إمتدحه الله -عز وجل- في سورة القلم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وإن الأمانة من مكارم الأخلاق التي أمر الإسلام بتأديتها ونهى عن خيانتها.

الأمانة في الإسلام

إنّ تعريف الأمانة في الإسلام يحتمل العموميّة والخصوصيّة، ففي المعنى العام دلّت الأمانة في الإسلام على ما تناولته الشريعة الإسلاميّة من الواجبات والطاعات وتوضيح المعاصي والمنهيّات، ولقد تمت الإشارة إلى ذلك في قول الله -تعالى- من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، فهي تشمل الإلتزام بجميع التعاليم النبيّنة التي نزلت على النبيّ محمّدًا صلى الله عليه وسلم، وأما من الناحية الخاصّة في تعريف الأمانة فقد دلّت على ما يجب على الإنسان المؤمن حفظه وصونه وأدائه في وقته المناسب، فالمسلم يعطي كل ذي حقّ حقه ويؤدّي حقّ الله -عز وجل- في العبادة ويحفظ جوارحه عن الحرام.

ولقد أوضح الله تعالى في القرآن الكريم أنّ الأمانة في الإسلام صفة ملازمة لعباده المؤمنين، وقد قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، ولقد نزل في القرآن الكريم عن الأمر بتأدية الأمانة قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فهي خُلق جليل من مكارم الأخلاق التي أمرنا النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بالتحلي بها.

أنواع الأمانة

إنّ باب الأمانة في الإسلام واسع يدخل فيه العديد والكثير من المجالات والصور التي تحكم المعنى الفعليّ لها، وأصل الأمانة كما سلف ذكره في التعريف العامّ والخاصّ لها أمران: الأمانة في حقوق الله تعالى والأمانة في حقوق البشر، وفيما يأتي صور وأنواع الأمانة في الإسلام ممّا جاءت به الشريعة الإسلاميّة:

- الأمانة الكبرى: هي الأمانة التي حملها البشر على ظهورهم، ألا وهي الدّين الإسلاميّ وتتجلى صور الأمانة في الدّين من خلال التمسّك به والتزام تعاليمه من غير خداع أو نفاق أو كلل ومن خلال نشرّ هذا الدّين بين البشر كافّة كما الأنبياء، قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث الصّحيح المطوّل: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السّماء، يأتيني خبر السّماء صباحًا ومساءً».

- أمانة النعم: وتكون الأمانة فيها بكف ما انعم الله على عباده من نعمة البصر والسمع واللسان وغيرها من النعم التي لا تعدّ ولا تحصى عن المعاصي التي تغضب المولى عزّ وجلّ، فتحفظ الألسن عن قول الحرام وتكف الأعين عن رؤيته وتصمّ الأذن عن سماعه.

- أمانة الأعراض: وتكون من خلال العفّة عمّا ليس للمرء حقّ فيه، وحفظ اللّسان من النّيل بشيء منها بسوء كقذف المحصنات وحتّى الغيبة، وأن يحفظ المرء نفسه وعرضه من ارتكاب الفاحشة.

- أمانة العمل: وهي أن يؤدّي المرء عمله على أكمل وجه، وأن يعمل بما يتقنه ويترك ما لا يتقنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر السّاعة قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السّاعة».

- أمانة الأسرار: وتكون الأمانة بكتمانها، وإفصاحها يعدّ من الخيانة، ومن أشدّها وأعظمها على الله هي أسرار البيوت الزّوجيّة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة، الرّجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثمّ ينشر سرّها».

- أمانة الوديعة: وهي ما يودعه المرء عند صاحبه من الأمور الماديّة كالأموال أو الأثاث وغيرها، وعلى المسلم أن يحفظها إلى موعد تسليمها ولا يحقّ له أن يتصرّف بها إلّا بإذن صاحبها.

- أمانة الولد: وهي التي يكلّف بها المرء طالما يصبح له ولد، فتربيته وتنشئته على مكارم الأخلاق أمانة علقت برقبة والديه.

فضل الأمانة

جعل الله -عزّ وجلّ- فضلًا عظيمًا للأمانة في الإسلام، وقد أشار إلى ذلك في عديد مواطن القرآن الكريم التي أشارت بدورها إلى صفات المؤمنين الخالدين بعد قيام السّاعة في جنّات النعيم، فقد جاء في سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، وتكرّر هذا البيان في سورة المعارج في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، فهي سبيل لتيسير الأمور في الحياة الدّنيا ومفتاح من مفاتيح أبواب جنّات النعيم التي وعد الله بها عباده المتّقين، وقد كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يودّع أصحابه بحرصه على دينهم وأمانتهم، ولقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ فقال: «كان إذا ودّع أحدًا قال: أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيمَ عملك».